ويتعرّق خلاله دماً أكثر الأحيان ! وكان قلب أمه الحنون يُطعَن بسبب ذلك ، فتمسح هذا الدم الإلهي باحترام وحب لا مثيل لهما. كانت تنضمّ أيضاً لصلوات ابنها وتأخذ شكله وتصرخ مُنتحبة : يا بني البشر ، لماذا لا تفهمون قليلاً حبّ خالقكم الذي يفضّل أن يُسفك دمه على أن يخسركم ! يا سيدي الإلهي ! من يستطيع أن يكون متصلّباً وعدوّاً كبيراً لنفسه إلى درجة أنه لا يتجاوب مع صلاحك؟

يا أولاد آدم ! وجّهوا نحوي قلّة تقواكم القاسية . كم كنت أودّ لو أستطيع أن أنقذكم جميعاً من عمى قلوبكم ولو بثمن حياتي ! .....

وكانت العذراء الكلية القداسة تجد ابنها متألّقاً بالمجد كما ظهر على طور ثابور ، ومحاطاً بعدد غفير من الملائكة بأجسام بشرية ، تُرنّم له بموسيقى عذبة أناشيد المجد. وكانت تشارك للحال بهذا التّهليل السماوي حتى تكاد تفقد الوعي أثناءه فيعضدّها ملائكتها. ومن يستطيع أن يصف شعورها عندما كان يُتاح لها أن تستمع إلى أحاديث الآب الأزلي مع ابنه المحبوب؟ فكانت تزيد هذه النعم دائماً النار المقدسة التي كانت تشتعل في مقدس نفسها .

وحدث أنه خلال هذه التأثرات المختلفة كانت قد بلغت سنتها الثالثة الثلاثين، هذا هو عمر الكمال، عمر النضوج التّام . أليس في مثل هذه السن كان قد خُلِق آدم وحواء؟ وأراد يسوع المسيح أن يموت؟ وعندما بلغت العذراء القديسة هذه السن ، أصبح جسمها جميلاً جداً حتى أنه بلغ إلى تمام الكمال وكان محطّ إعجاب البشر والملائكة ، وكان يشبه إلى حدّ عجيب جسد يسوع ، عندما أصبح في هذه السن مع ذات التقاطيع وذات اللون ، ولكن مع الفارق الوحيد وهو أن الابن كان أكمل الرجال والأم أكمل النساء .

وظلّت طيلة حياتها في الحالة ذاتها دون أدنى تغيير. فشكرت الله على هذا الإنعام وتمتعت به بكثير من الارتياح ، لأنه كانت تعلم أنه أُعطي لها كي تحافظ فيه على الصورة المشابهة لابنها الإلهي.

أما بالنسبة إلى القديس يوسف فلم يكن بعد قد تقدّم في السن كثيراً ولكن الأعمال الشّاقة والآلام برّت جسده ، فقالت له خطيبته الكلية الحنان : كفاك ما عانيت من متاعب في سبيلي